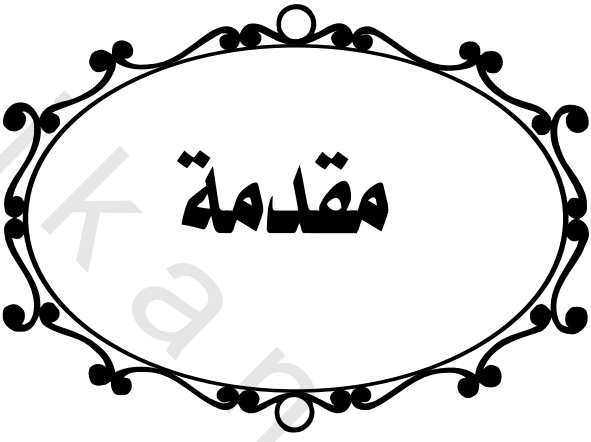

obeikandl.com

obeikandl.com

بسم الله تعالى وله الحمد

فى فجر القــرن الحادى عشر ظهر فى (فارس) من مــدينة (شيراز) رجل فارسى المحتد، حقيق أن يعد من أعظم الفلاسفة الأثولوجيين الذين نظروا فى ملكوت السموات والأرض وكانوا من الموقنين.

وهو صــدر الدين مــحــمد بن إبراهــيم الشــيرازى، وكــان ظهــور هذا الفيلسوف الإلهى الكبــير الذى سنأتى على صورة جلية من حياته وشخــصيته وفلسفته، فى عصر كان نجم الفلسفة ضئيل النور لا ناصر لها إلا فئة قليلة ممن اختارهم الله لنصر العلم، وكــان رجال الفكر يستترون وراء ستار التــقية حقنًا لدمــائهم، وكانت صــولة أهل الجمــود شديدة قــوية وقلم الفقــهاء وخــصوم الفلسفة أمضى من السيف، ولو لم يكن لمذهب التصوف بصيص نور وأنصار قليلون من الذين اســتنارت قلوبهم بنــور العقل لكان هذا الــفيلســوف الإلهى صريع جــهل أهل عصره وقتــيل عصبيــتهم، ولكان جزاؤه على علمــه جزاء شهاب الدين السهروردى - القتيل الشهيد - على فكره.

هيأ الشرق فى كل عصر للعالم رجالاً كبارًا وحكماء عظماء، منهم من ملأت شهرتــه ومنهم من مات مجهولاً فى زاوية غربتــه. وممن لم يعرفوا حق المعــرفة هذا الفــيلســوف الربانى الجليل الذى لا شك أنه مــن حسنات القــرن الحادى عــشر يحق أن يعــد من فطاحل الحكمــاء أمثال: (ابن ســينا)، و(ابن

مسكويه)، و(نصير الدين) الطوسى الفلكى، والإمام (الغزالى) من الفرس، و(ابن رشد)، و(ابن باجة)، و(محيى الدين بن عربى) من العرب، وأمثال: (سقراط)، و(أفلاطون)، و(أرسطو)، وأمثال (سبينوا)[١] (Spinoza) و(مالبرانش)[٢] (Malebranche) من رجال الغرب.

اخترت للأطروحة وصف حياة هذا الفيلسوف وشخصيته وأهم فصول فلسفته لأسباب:

الأول: أنه خدم اللغة العربية أعظم خدمة إذ أخرج كنزًا عظيمًا من درر الحكمة ولآلئ العلم: من فلسفة اللاهوت والأخلاق والتصوف والحديث بلغة الضاد، ووضع كتبًا تبلغ أربعة وأربعين أو خمسة وأربعين كتابًا ورسالة بتلك اللغة[٣]، وهذا مما زادت به ثروة العلم فهذه الخدمة أحرى أن تقدر ولا سيما من علماء العرب ورجال الأدب فى الشرق والغرب كافة.

الثانى: أن روح فلسفته وإن غشاها حينًا بألفاظ معماة ولا تظهر إلا للمتضلع من فلسفته واصطلاحه، ترفع الخلاف فى كثير من المسائل التى طالما

---

(١) (سبينوزا) فيلسوف إلهى شهير ولد فى أمستردام سنة ١٦٣٢م، وهو من أنصار مذهب وحدة الوجود (البانتيسم). قال الدكتور (رابوبرت) فى شأنه أنه كان مملوءًا بحب الله حتى أصبح لا يرى أمامه إلا الله. توفى سنة (١٦٧٧م).

(٢) فيلسوف إلهى فرنسى، ولد فى باريس سنة ١٦٣٨م كان يسعى فى سبيل التوفيق بين الدين والفلسفة، وكان يقول يجب أن نحب الله حبًا تامًا، توفى سنة (١٧١٥م).

(٣) عثرنا على كتبه إلا القليل منها فوجدناها باللة العربية سوى رسالة صغيرة بالفارسية كتبها فى مبادئ عرفانية.

احتدم الجدال فيها بين الفلسفتين الروحية والمادية، وإن شئت قل أنها ترفع الخلاف بين عدة مسائل كان الخلاف فيها بين الفلسفتين جوهريًا، كالخلاف بين مذهبى أزلية المادة (العالم المادى) وحدوثها ووجود القوة المبدعة الخالقة المعبر عنها (بالله) وإثبات الشعور العام المعبر عنه بالعلم له، ووجود الحكمة والغاية من الخلق فى جميع أجزاء الكون وعدمها، وهذه المسائل بحثت عنها فى درس مذهبه الفلسفى، ثم أردفت البحث فى هذه المسائل برأى هذا الفيلسوف فى إثبات الشعور لذرات المادة المعبر عنها فى اصطلاح الفلسفة الإغريقية بالهيولى من جماد ونبات؛ كرأى العالم النباتى الهندى (جاجديس بوز)[١].

ثم جعلت مسك الختام كلمة صدر الدين فى العشق، وفيها اعتراف منه بفضل الدمشقيين ودمشق.

الثالث: أن أُوجه أنظار أهل العلم من الشرقيين والغربيين إلى أفكاره النيرة، وآرائه وفلسفته الروحية وإلى كتبه النفيسة التى هى مرآة أفكاره وأفكار عظماء الفلاسفة، كسقراط وأفلاطون وأرسطو وغيرهم من فلاسفة الإغريق والفرسوالروم وأتباعهم كابن سينا والفارابى وأمثالهما.

---

(٤) جاجاديس بوز هو عالم نباتى هندى يعدُّ من مفاخر الهند فى هذا العصر اعترفت له أوروبا بما أسده إلى المعارف الإنسانية من يد، وأعلنت فوزه بالوصول إلى ما كان يتمنى الوصول إليه غير واحد من علمائها الذين بلغوا الذروة العليا بتحقيقاتهم، وهو الذى اخترع الجهاز (الكرسكوغراف) المغناطيسى الذى يجعل الحركات التى لا ترى بالعين المجردة أكثر وضوحًا بخمسين ألف ألف ضعف وأظهر به للملأ حياة النبات وحركته.

ولا انتشار لكتبه القيـمة إلا عند الخواص من العرب والفرس، على أن قدره لم يخف على بعض علماء أوروبا وكتَّابها، فإن العلام (كونت دوغوبينو Comte de Gobineau) السـفيـر الفـرنسى الذى أقـام من سنة (١٢٧١هـ إلى ١٢٧٤هـ) فى طهـران كتب فى كـتابه (المذاهب والفلسفة فى آسـيا الوسطى) (Les Religions et les philosophies dans l'azie Centrale) فـصـــولاً عنه لا تتجاوز بضع صحائف.

وورد أيضًا ذكـره مختصـرًا بقلم المستشـرق (كليمان هوار) فى مـعلمة الإسلام التى تنشرها جماعة من المستشرقين. ولكن:

الأول منها وفقًـا لموضوع كتابه بحث عن ناحية أثره فى الفلسـفة وتأثير فلسفته فى أهل عصره.

والثانى اعتمد عـلى ما كتبه الكون (دوغوبينو) فى كـتابه المذكور وعلى مصادر فارسية وقفنا عليها جميعًا.

***

obeikandl.com